

جهاد المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي في مواجهة العدو الأوروبي

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

لا شك ان التاريخ ليفخر بحركة الجهاد الاسلامي بقيادة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، الذي حرر المسجد الاقصى من الاحتلال الاوروبي، الذي اتخذ اتجاهاً صليبيّاً، ولم يعترف بتقديس المسلمين للسيد المسيح ﷺ، وأمه مريم العذراء، مما تجلّى برعاية دولة الاسلام لأهل الكتاب وحمائتهم وحماية معابدهم، وجعل مصالحهم في ذمة المسلمين وذمة دولتهم لقوله ﷺ: «من ظلم معاهداً أو انتقصه، وأخذ منه شيئاً أو كلفه فوق طاقته، فأنا حجيجه يوم القيامة» كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١٥٠.

سنة (٨٥٣هـ)، اي بعد وقوع المعركة بحوالي ثلاثة قرون، حيث ان تلك المعركة قد وقعت في عام ٥٨٣هـ، غير انني توقعت ان ينتبه احد لهذا الخطأ فيبادر الى تصحيحه في تقويم العام الهجري (١٤٣٠) ولكنه تكرر هذا الخطأ الجسيم في ذلك العام.

أقول صراحة: ان ذلك الخطأ وتكرره قد اربعني، خصوصاً وانه وقع في الأردن

وقد كنت أظن ان الجهاد في مواجهة الصليبيين أمر يحرص المسلمون على معرفته، ولم يخطر ببالي ان يقعوا في خطأ تحديد زمانه، حتى وجدت ذلك في التقويم العربي الهاشمي الصادر في عمان، في الورقة التي تحمل تاريخ ٢٦ ربيع الثاني لسنة ١٤٢٩هـ، التي وجدت فيها عبارة «ذكرى معركة حطين» وهو صحيح بالنسبة لليوم والشهر، ولكنه اخطأ في جعله في

واصل وكتابه «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب».

وسوف اخصهم -بإذن الله تعالى- بمقال مستقل والتعريف بمؤلفاتهم، وجهودهم في تسجيل وقائع حركة الجهاد الاسلامي في مواجهة القوات الأوروبية المعتدية.

❖ معركة حطين:

ولعل خير من كتب عنها هو ابن واصل في تاريخه «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب» اذ قال «ج ٢/ ١٨٨ - ١٩٥ و ص ٢٤٠- ٢٤١»: انها تعتبر مفتاح الفتوحات الاسلامية بما فيها فتح القدس، اذ تهيأ الفرنج للقتال بخمسين الف مقاتل ومعهم «صليب الصليوت» وذلك يوم الجمعة ٢٤ ربيع الآخر من سنة ٥٨٣هـ، عندما منعهم المسلمون من الحصول على ماء بحيرة طبرية، وعند ذلك التجأوا الى جبل حطين ليأمنوا جانب المسلمين، ولكن المسلمين احاطوهم وضايقوهم واشعلوا حولهم النيران في الحلفاء، واشتد القتال وكادوا يظفرون وينهزم المسلمون، ولكن الله ثبت اقدامهم فانتصروا عليهم، وقتل منهم جمع كبير، واسر جمع آخر، واستولى المجاهدون

الذي كان احد ميادين الجهاد ضد الصليبيين، وقد سُجلت فيه عدة انتصارات للمجاهدين المسلمين، ولذلك رأيت من واجبي كتابة شيء عن حركة الجهاد هذه، وتوجيه الأنظار الى معركة حطين وأهميتها وتحديد تاريخها بدقة بالرجوع الى المصادر التي تخصصت بموضوع الجهاد ضد العدوان الأوروبي، خاصة وقد تصدى له مؤلفون أكفاء وكان أكثرهم ممن شارك في الجهاد بنفسه وسجل تفاصيله ومنهم:

١- عماد الدين محمد بن محمد الكاتب القرشي الاصفهاني، وكان من كتاب صلاح الدين، له كتاب ضخيم بعنوان «الفتح القسي في الفتح القدسي».

٢- القاضي بهاء الدين بن شداد الذي رافق صلاح الدين في جهاده، وصنف كتاباً في سيرته وهو بعنوان «سيرة صلاح الدين المسماة «السيرة اليوسفية».

٣- ابو شامة، وهو عبد الرحمن بن اسماعيل الذي صنف كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين الزنكية والأيوبية» وذيله، وهو تراجم الرجال.

٤- جمال الدين محمد بن سالم بن

على الصليب المقدس وكان أولاد صلاح الدين في مقدمة المقاتلين.

ووقع عدد كبير من قادة العدو في الأسر، وقال عماد الدين الكاتب: بأنه منذ ملك الافرنج البلاد لم يقع عليهم يوم كيوم حطين، خاصة بعد ان استولى التتر على معظم المشرق الاسلامي ويؤس الناس من انتعاش الملة، فجاء هذا النصر المبين وعندها نزل صلاح الدين من مقر قيادته، وأدى صلاة الشكر على هذه النعمة، وأحضر الاسرى من ملوك الفرنجة، فأجلسهم الى جانبه بما فيهم البرنس «ارناط» صاحب الكرك الذي أقسم صلاح على قتله ان ظفر به، لأنه غدر بقافلة مصرية كانت متوجهة الى الشام وقتل من فيها، وقال لهم: «قولوا لمحمدكم يخلصكم» فقال له صلاح الدين: «ها انا انتصر لمحمد ﷺ».

ثم عرض عليه الاسلام فلم يستجب وعندها عاجله بضربة من سيفه وأتم عليه من حضر من الخدم، مما افزع ملك الافرنج، ولكن صلاح الدين طمنه بقوله: «لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك، واما هذا فتجاوز حده فجرى عليه ما جرى»، ثم

امر بنقل الملوك والقواد والاسرى الى دمشق، وقد كان هذا النصر مقدمة لفتح عكا يوم الجمعة ٢ جمادى الأولى ٥٨٣هـ (مفرج الكروب ج ٢/٢٠١-٢٠٢).

وبذلك تهيأت الظروف لفتح عدة حصون وفتحت نابلس وكتب صلاح الدين الى الخليفة الناصر بهذه الانتصارات «بإنشاء عماد الكاتب» كما فتحت صيدا وبيروت وجبيل وعسقلان وغزة^(١).

وبلغ عدد الاسرى في هذه الوقائع ما لا يقل عن (١٠٠) ألف أسير «المصدر السابق ص ٢٠٧-٢١٠» وقد توجت هذه الانتصارات بفتح القدس «المصدر السابق ص ١١» التي كانت الشغل الشاغل لصلاح الدين ويضيف ابن شداد «في سيرة صلاح الدين ص ٧٥-٧٩»: ان الافرنج كانوا قد اعتصموا قبل حطين وهي قرية عندها قبر شعيب النبي ﷺ «مفرج الكروب ج ٢/١٩٠».

في الحقيقة ان أهم ما كان يشغل بال صلاح الدين هي «القدس» التي كان يتفقد احوالها وما يحصل بها من اسوار وقلاع، وكان يتصدى للموجات الفرنجية التي تغادرها بهدف قتال المسلمين، فيلقون على ايدي جيوشه الهزيمة تلو الهزيمة، لما

ادركوا انهم لا يقدرّون على صدهم، كما ادركوا انهم مشرفون على الهلاك، وان من مصلحتهم طلب الامان وتسليم القدس لصلاح الدين، الذي امتنع عن اجابتهم للأمان، وقال لموفديهم: «انا لا افعل الا كما فعلتموه بأهل القدس من المسلمين في سنة ٤٩١هـ من القتل والسبي، وجزاء السيئة بمثلها» ويرجع الموفدون خائبين وقد ارسلوا وفوداً اخرى تسترحم صلاح الدين بمنح الأمان، ويقولون له: «ان في المدينة خلق كثير وهم يرغبون في عدم القتال، ورجاء الأمان وهم يكرهون الموت، اما اذا رأينا الرفض فلا بد لنا ان نقتل ابناءنا ونساءنا، ونحرق جميع ما نملك ولا نمكنكم تغنمون منا شيئاً ولا تأسرون أحداً ثم نخرب الصخرة والمسجد الأقصى وغيرها من الأماكن المقدسة، ثم نقتل اسرانا وهم (٥٠٠) أسير، ولا نترك دابة ولا حيواناً الا قتلناه، وبعدها نخرج لقتالكم ونموت اعزاء كراماً.

فاستشار صلاح الدين اصحابه فأجمعوا على اجابتهم الى الأمان، فأجابهم اليه، واشترط عليهم ان يدفع كل رجل عشرة دنانير، والمرأة خمسة دنانير،

والطفل دينارين، على ان يتم الدفع خلال (٤٠) يوماً، والا صار من في المدينة ممالك للمسلمين، وهكذا استسلمت القدس يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ «مفرج الكروب ج٢/٢٠٧-٢٤١».

ثم نعود الى الحديث عن واقعة حطين، فقد لاحظت ان ابن شداد في كتابه «سيرة صلاح الدين ص٧٥» يعتبر حدوث معركة حطين يوم السبت بدلاً من يوم الجمعة، ولكنه يبقي على تاريخها في يوم ٢٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ اما العماد الاصفهاني فيرى في كتابه «الفتح القسي في الفتح القدسي» ان الواقعة حدثت في يوم الجمعة الموافق ٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣هـ وان النصر فيها اسفر عن احراز النصر في طبرية والى فتح عكا، التي فتحت يوم الأربعاء من الشهر نفسه والسنة نفسها «الفتح القسي ص٢٤-٢٦».

وفي هذا السياق، كان قد وصل الى المنطقة ملك الانكليز وهو المعروف بلقبه «قلب الأسد» الذي حاصر قبرص واحتلها ثم انتقل الى فلسطين، وعندها ابدى رغبته في لقاء صلاح الدين، لكنه رفض الا بعد معرفة المراد، وفوض الأمر لأخيه الملك

٣٥٢-٣٦٩».

وقد تضمنت الرسالة اتهام بعض القادة بالتخوف مما أدى الى عرض تسليم المدينة الى الكفار، لقصد سلامتهم، بخلاف المخلصين المؤمنين الذين يبذلون الغالي والرخيص في سبيل احراز النصر على العدو، ومنها رسالة الى قطب الدين بن نور الدين بن قره ارسلان، تثير همته للاشتراك في الحرب، ورسالة مماثلة لاستدعاء مظفر الدين حاكم اربل، واعلامه بسقوط عكا التي دافع عنها المسلمون اكثر من عامين تكبدوا خلالها (٥٠) ألف شهيد، وحاول الفرنجة الاستفادة من دخول عكا فحاولوا التعرض للمسلمين خارجها، ولكن لم يتخل صلاح الدين عن الشروط التي قبلها القادة الذين سلموا عكا لقاء خروجهم والمسلمين منها، ومن تلك الشروط دفع (١٠٠) الف دينار، واطلاق الاسرى من الصليبيين واعادة «صليب الصليبوت» الذي سبق ارساله الى دار الخلافة «فأحضر منها» ولكن ملك الانكليز لم يوف بتعهداته اذ قتل المسلمين الذين اسروا في عكا، مما حمل صلاح الدين على الامتناع عن الوفاء بتلك

العدل، وقد جرى حينذاك الحديث عن المهادة بين السلاطين، وان دامت الحرب وكان الانكليزي مريضاً وطلب شيئاً من الفواكه والثلج، وطالب ان يسمح لرسله بالتجوال في الأسواق فسمح لهم، وكان غرضه تفتير العزائم، اذ استمر بالرمي من المنجنيقات على عكا مما اجهد اهلها المحصورين فيها، وقد اصابهم اليأس، خاصة بعد انهيار اجزاء من سورها، فعمدوا الى الاتصال بالفرنج وقد تضمن كتاب صلاح الدين المرسل الى صاحب اربل، خلاصة الموقف حسبما ما ورد في كتاب «سيرة صلاح الدين» ابن شداد وادى ذلك الى فشل الجهود المبذولة للوصول الى حل سلمي، فقرر القادة المحليون في عكا، عقد اتفاق مع العدو للخروج من عكا وتسليمها الى الافرنج مع دفع (٢٠٠) الف دينار و (٥٠٠) من الاسرى الصليبيين، و «صليب الصليبوت» مما كان مفاجأة لصلاح الدين وجيوشه، اذ فوجئوا برايات الصليبيين فوق سور عكا، مما اثر في معنويات المسلمين الذين كانوا يعدون العدة الى مواصلة القتال، وقد كلف عماد الدين الكاتب بإعداد رسالة توجه الى مختلف بلدان المسلمين تصف الحال «الفتح القسي

التعهدات ومنها دفع المبلغ المذكور، وعدم اطلاق سراح اسرى الفرنجة، وعدم اعادة الصليب الذي اعيد الى الخزانة لاهانتهم، علماً بأن الروم ثم الكرج قد بذلوا جهودهم للفوز بذلك الصليب، وانفذوا عدة رسل فلم يلقوا غير الرفض «الفتح القسي ص ٣٧٠-٣٧٣».

هذه خلاصة الأحوال التي مرت بعد معركة حطين، اما ما يتعلق باستمرار الجهاد ضد الصليبيين فله مناسبة اخرى ان شاء الله، لكن هناك بعض الاحداث مما لها صلة بما سبق الحديث عنه، نلخصها فيما يأتي، وهي احداث متنوعة ندرجها بمشيئة الله تحت العناوين التالية:

أولاً: تحرير القدس:

جاء في «مفرج الكروب ج ٢/ ٢١٣-٢١٤» انه كان فيها قبل تحريرها ما لا يقل عن (٦٠) ألف مقاتل من الافرنج، وفيها تجمع كبارؤهم من الملوك والأمراء ورجال الدين، كما ان فيها اهم مقدساتهم بما فيها كنيسة القيامة، لذلك كانوا يقاتلون عنها كفريضة دينية، اذا ما رفض الجانب الاسلامي منحهم الامان، وفي ذلك تضحية بأرواح المسلمين، مما حمل صلاح الدين على قبول

وقف القتال مقابل الأمان، وكان في القدس بعض نساء ملوك الروم اللاتي ترهبن وسكن فيها، ولهن جمع من الخدم والأموال والجواهر النفيسة، فطلبين الأمان لأنفسهن ومن معهن فوافق صلاح الدين على ذلك، فأمنهن وسيرهن الى الجهات اللاتي اردنها، وكانت احدى زوجات الملك المأسور مقيمة في القدس، واستأذنت صلاح الدين ان يسمح لها بالاجتماع بزوجها المحجوز في نابلس فأذن لها، بل وحتى زوجة أرناط، الذي قتله صلاح الدين في حطين، وقد تم ذكره، فشفعت لولدها المأسور، فوافق على شرط تسليم الكرك للمسلمين، فحاولت ولم توفق، ولكن صلاح الدين اطلق لها اموالها وأتباعها، كما سمح للبطرك الافرنجي الكبير ومعه اموال الكنائس فقيل لصلاح الدين بأن يأخذ ما معه من اموال ليتقوى بها المسلمون، فقال: لا أغدر به، ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير كفرد عادي، وسيّر مع الذين سبق ذكرهم حرساً يوصلونهم الى مدينة صور.

وكان الافرنج قد أساءوا لقدسسية المسجد الاقصى، اذ وضعوا على رأس قبة الصخرة صليباً كبيراً من ذهب، فاقتلعه

المسلمون، ودنسوا محرابها فجعلوه مكاناً للخنازير وما إليها مما استوجب ازالته كما بنوا في المسجد بعض المساكن لهم بما فيها المواضع الصحية «المستراح» ومستودعات للحبوب وما إلى ذلك، مما وجبت ازالته، كما أقاموا على الصخرة المقدسة كنيسة، وملأوها بالصور، ووضعوا نقوشاً فيها قوامها صور «الخنازير» علاوة على مذبح وأماكن للرهبان وقد تطلبت ازالتها بعض الوقت، ولذلك لم يكن ممكناً يوم الفتح إقامة صلاة الجمعة في المسجد الأقصى، ولكنها أقيمت فيه في الجمعة الثانية من تحريره، حيث امتلأ الأقصى بالمصلين، وقد كلف صلاح الدين القاضي محيي الدين بن زكي الدين، بإلقاء خطبة الجمعة التي استهلها بقوله تعالى: ﴿فقطّع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ الأنعام: ٤٥، وشفعها بما يناسب المقام والنصر، وكنا نود اقتطاف بعض فقراتها، ولكنها طويلة، ويكفي أن نقول: أن الملك المظفر ابن صلاح الدين وهو تقي الدين، قد طهر الصخرة بنفسه وغسلها بماء الورد، وكنس ساحاتها وحيطانها وبخرها حتى تطهرت «مفرج الكروب

ص ٢١٩-٢٢٧».

والجدير بالذكر أن نقل المنبر الذي أمر بصنعه السلطان نور الدين محمود رحمه الله لينصب في المسجد عند تحريره ولكنه لم يتسن له ذلك هو المنبر الذي أحرقه اليهود ضمن خطتهم لتدمير المسجد، وأقامه مكانه معبدهم لا سمح الله.

وخطرت على بال بعض المعنيين آنذاك، فكرة وهي من باب الانتقام، أن تهدم كنيسة القيامة، ولكنهم استبعدوها، إذ ذكروا أن فتح القدس في صدر الإسلام كان من جانب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أقر بقاءها في هذا الموقع، ولم يأمر بهدمها ولذلك قرر صلاح الدين استبعاد فكرة الهدم «مفرج الكروب ج ٢/٢١٩-٢٣١» وأنا اضيف على ما تقدم وليس من حق أحد أن يزايد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكتب صلاح الدين عن هذا النصر رسالة إلى الخليفة الناصر، وكذلك إلى ملوك الأطراف وبعض أعضاء الأسرة الأيوبية وتضمنت رسائله الحديث عن المعارك التي خاضها وخاصة «معركة حطين» وأهميتها بالنسبة لفتح القدس،

❖ ثالثاً: صلاح الدين وملك الانكليز:

وفي هذه الظروف وصلت رسالة من ملك الانجليز الى الملك العادل تطلب المصافاة والموالة، والأخذ بالمهاداة وتردد الرسل اياماً واستقرت الأمور على زواج العادل بأخت الملك الانكليزي، وقبول بعض الشروط من جانب صلاح الدين، ويكون مستقر ملكها بالقدس، وان اخاها يعطيها بلاد الساحل الفلسطيني، ويجعلها ملكة الساحل من عكا الى يافا وعسقلان ويعطي صلاح الدين لأخيه جميع ما بيده من ساحل فلسطين مضافاً الى ما في يده من البلاد والاقطاع، ويسلم اليه صليب الصليبوت، وقد تولى شداد إبلاغ هذا الموضوع الى صلاح الدين، نيابة عن الملك العادل، فأقره صلاح الدين، وعندما علمت أخت الملك بما تم من قبل أخيها رفضت الزواج الا اذا انتصر العادل، وهكذا فشلت محاولة ملك الانجليز لإنهاء الحروب «ابن شداد ص ١٩٥-١٩٦، والفتح القسي ص ٣٩٣-٣٩٥».

ثم انصرف صلاح الدين الى عمارة القدس وأسوارها وكان يحمل الأحجار على قربوس حصانه، فيتابعه الأمراء

واغلب تلك الرسائل كانت بقلم الكاتب عماد الدين، وتضمنت بعض رسائله الحديث عن المعارك التي خاضها وخاصة «معركة حطين» ودورها في تعبيد الطريق الى فتح القدس «مفرج الكروب ج ٢/٢٣٨-٢٤٢».

❖ ثانياً: صلاح الدين وملك الروم:

كانت لصلاح الدين مراسلات مع ملك الروم في القسطنطينية حول بعض الأمور، ومنها اقامة الخطبة في جامع عاصمة الروم، وهو الجامع الذي بني في العهد الأموي، واقامتها كانت ضمن مهمات الرسول الذي اوفده صلاح الدين الى هناك، وقد حظي الرسول باحترام كبير واکرام ملحوظ، وكان برفقته الخطيب والمنبر، وجمع من المؤذنين، وكثير من تجار المسلمين، واشترك هؤلاء بأداء الصلاة، ودعوا للخليفة العباسي، وعاد الرسول ومعه رسول ملك الروم وكتاب الى صلاح الدين مختوم بالذهب، يتضمن القول بتنفيذ ما طلبه صلاح الدين واستعطافه وإظهار المودة له، والاعتذار عما حصل من عبور ملك الألمان ببلاد الروم، «مفرج الكروب ج ٢/٣٢٨-٣٤٩» مما سيأتي ذكره بإذن الله.

البحث عنها حتى وجدها واعادها الى أسرته وزوجها، فأكرمهم جميعاً وسيّرهم الى انطاكية اكراماً لزوجته البرنس «مفرج الكروب ص ٢٦٧».

❖ خامساً: قدوم ملك الألمان:

وقد علم بمقدمه الى الشرق، الملك الظاهر صاحب حلب، وهو ابن صلاح الدين، فأخبر والده بذلك، وقد قيل: ان في قيادته (٢٦٠) الف مقاتل، فانتدب صلاح الدين القاضي ابن شداد لينقل هذا الخبر الى الخليفة الناصر، كما سير القاضي ضياء الدين الشهرزوري بتلك المهمة ايضاً، وكان ذلك في سنة ٥٨٦هـ بما في ذلك ابلاغ الخبر الى ملوك الاطراف، وسبب قدوم ملك الألمان بهذا الجيش الكثيف، وأخبار هزيمة الفرنج في حطين، ثم تحرير القدس، فحملته العصبية الدينية على جمع هذا الجيش الحاشد وقيادته باتجاه القدس، ولكن ملك الروم وهو على علاقة طيبة مع صلاح الدين، لم يسانده ولم يسعف جيشه، فاضطر الى الانتقال باتجاه بلاد الشام، مما ادى الى تشريد هذا الجيش في الطريق، اذ لم يكونوا يعرفون جغرافية المنطقة، وفعلت الثلوج

والأكابر، وعمّق الخندق وأعلى الأبراج «الفتح القسي ص ٤٠٠-٤٠١، ٤١٦-٤١٩».

كما فتح مدينة يافا، وعندها ادرك ملك الانجليز ان التشدد لا ينفع فطالب هدنة عامة، بحجة عزمه على العودة الى بلاده، وكان رأي صلاح الدين رفض الهدنة، الا ان رؤساء الاجناد مع استعدادهم لمواصلة القتال، كانوا يرون ان برفضها يزيد الموقف سوءاً، فكانت الهدنة «الفتح القسي ص ٤٢٩-٤٣١ و ٤٣٤-٤٤٠» وفي ظل الهدنة سمح صلاح الدين لملك الانجليز بزيارة كنيسة القيامة «المصدر السابق ص ٤٤١-٤٤٦».

❖ رابعاً: صلاح الدين وحاكم انطاكية:

ثم ان البرنس حاكم انطاكية، قدم لزيارة صلاح الدين، وكان طامعاً بالذمة لأداء الخدمة لصلاح الدين الذي أحسن لقاءه، وسكّن من روعه وأكرمه ومن معه من الفرسان، وأجزل لهم العطاء، والجدير بالذكر ان زوجة هذا البرنس كانت تهادي صلاح الدين، وتطلعه على أسرار الافرنج، وكان صلاح الدين يكرمها، ويهدي اليها أنفس الهدايا، وكانت اختها قد اسرت يوم فتح القدس، وقد حرص صلاح الدين في

«مفرج الكروب ص ٣١٧-٣٢٠ و ٣٢٩-٣٣٠»، وعلى كل فإن قدوم الملك الألماني ما كان الا كرد فعل لمعركة حطين، التي كانت تحولاً مهماً في مصير الحروب الصليبية، اذ اثارت قلقاً بالغاً في اوروبا مما تجلى بصراحة في هذه الحملة الألمانية التي قادها الملك بنفسه، ولكن الله سبحانه وتعالى خذله في مختلف المراحل، وانتهى به الى الغرق، وكان ذلك سنة ٥٨٦هـ.

❖ سادساً: ورود المساعدات من الخليفة وبعض حكام الأقاليم العراقية:

ذكر ابن واصل «مفرج الكروب ج ٢/٣١٤» وغيره من المؤرخين، وصول وفد برئاسة الشريف فخر الدين نقيب المشهد الكاظمي في بغداد، ومعه احمال من النفط ومبلغ من المال، وعدد من الزرايين، اي رماة النفط المتقنين لصناعة الاحراق، فاحتفى صلاح الدين بالوفد، وقد وصلت هذه الشحنة الى معسكر جيش صلاح الدين المحيط بعكا، كما ذكر العماد الاصفهاني «الفتح القسي ص ٢٤٢-٢٤٣ و ٢٤٩-٢٥٢» استخدام قدور النفط التي قذف بها المسلمون ابراج الفرنجة في حصار عكا، مما حسم المعركة لصالح المسلمين، مما

فعلها في إفنائهم، حتى اكلوا دوابهم، وتخطفهم التركمان، ومع ذلك وصل بعضهم الى ديار الأرمن الذين دخلوا في طاعة الملك الألماني وقدموا لهم الطعام.

والجدير بالذكر ان هذا الملك غرق اثناء عبوره لأحد الأنهار ولكن ابنه جمع حوله (١٥) ألف مقاتل، وانطلق من انطاكية الى اللاذقية ثم سلك طريق البحر بقصد عكا، لكن الافرنج لم يرحبوا به، خاصة وأنه طلب منهم ممارسة القتال الى جانبه، وحاول التسرب الى المنطقة التي تحيط بقواتهم التي تضرب الحصار حول عكا، فما كان من صلاح الدين الا الركوب اليهم فأحبط خططهم.

وهكذا فشلت الحملة الألمانية، خاصة بعد فشل محاولات ارسال السفن التي تحمل اخطاباً محترقة لحرق برج اسلامي قائم في الميناء مما يؤدي الى حرق سفن اسلامية، بل عكا نفسها «مفرج الكروب ج ٢/٣٢٩-٣٣٠».

هذا وقد اعتذر صاحب قلعة الروم الارمني الى صلاح الدين، وخاطبه بعبارة «مالكنا السلطان الملك الناصر صلاح الدين والدينيا»، وما الى ذلك من القاب

استوجب زف البشرى الى الخليفة والى مختلف الاقطار الاسلامية.

ويبدو ان النفط من العراق، كان يصل الى المقاتلين كما ذكر ابو شامة في كتابه «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» ص١٤٨ و٢٠٣ - ٢١١ و ٢٣١-٢٣٢ و ٢٤٢-٢٤٣» حيث ان صاحب الموصل مسعود بن مودود بن زكي كان يرسل كميات من النفط الابيض ومجموعات من الرماح والتروس الى الجيش الاسلامي المحاصر بعكا، علماً بأن النفط كان قليلاً لدى قوات العدو.

❖ مصادر المقال الأساسية:

١- «الفتح القسي في الفتح القدسي» مؤلفه عماد الدين محمد بن محمد الكاتب القرشي الاصفهاني المتوفى سنة ٥٦٧هـ وهو كتاب ضخّم نشر لأول مرة بتحقيق الكونت «كارفودي لاندنبرغ» وطبع في لايدن بهولندا وله طبعة ثانية في القاهرة سنة ١٩٠٥م وكان المؤلف من كتاب صلاح الدين الأيوبي وقسط كبير من رسائله -ان لم تكن كلها- من انشاء العماد.

٢- «سيرة صلاح الدين» المسماة «السيرة اليوسفية» للقاضي بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢هـ، وقد نشرت بتحقيق جمال الدين الشيال، وطبعت في القاهرة سنة ١٩٦٢م وكان المؤلف قريباً جداً من صلاح الدين وكثير من رسائله كانت بقلمه، وكان يرسله الى الخليفة لابلاغ رسائله.

٣- كتاب «الروضتين في اخبار الدولتين الزكية والأيوبية» المنشور بالقاهرة سنة ١٨٧٠م.

٤- و «ذيل الروضتين» وهو في التراجم المنشورة في دمشق سنة ١٩٤٧م، وكلاهما لأبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥هـ.

٥- كتاب «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب» مؤلفه محمد بن سالم بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ وقد نشر الكتاب بتحقيق د. جمال الدين الشيال في القاهرة سنة ١٩٥٧م.

الهوامش:

١- يرى ابن شداد «ص١٠٣-١٠٩» ان معركة حطين كانت مقدمة لأخذ قلعة طبرية ومدينة عكا.